● إعداد: ليلى الشافعي

عودة إلى الله

توبة عبدالله بن الزبعري الشاعر رضي الله عنه

هرب يوم الفتح هبيرة بن أبي وهب المخزومي زوج أم هانئ بنت أبي طالب، وعبدالله بن الزبعرى الى نجران، وكانا شاعرين يهجوان المسلمين، ويقال: ان ابن الزبعرى أشعر شعراء قريش، فأرسل حسان بن ثابت أبياتا يريد بها ابن الزبعرى أنشدنيها ابن أبي الزناد:

لا تعد من رجلا أحلك بغضه
نجران في عيش أحذ لئيم
بليت قناتك في الحروب فألقيت
خمانة جوفاء ذات وصوم
غضب الإله على الزبعرى وابنه
وعذاب سوء في الحياة مقيم

فلما جاءه شعر حسان تهيأ للخروج، فقال له هبيرة: أين تريد يا ابن عمي؟ قال: أردت والله محمدا، قال: أتريد أن تتبعه؟ قال: اي والله! قال هبيرة: يا ليت أني رافقت غيرك! والله ما ظننت انك تتبع محمدا أبدا! قال ابن الزبعرى: فعلى اي شيء تقيم مع بني الحارث بن كعب ـ وأترك ابن عمي وخير الناس وأبره ـ ومع قومي وداري؟ فانحدر ابن الزبعرى حتى جاء رسول الله ﷺ وهو جالس في أصحابه فلما نظر رسول الله ﷺ اليه قال: «هذا ابن الزبعرى ومعه وجه فيه نور الإسلام». فلما وقف على رسول الله ﷺ قال: السلام عليك يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله، والحمد لله الذي هداني للإسلام، لقد عاديتك وأجلبت عليك وركبت البعير والفرس ومشيت على قدمي في عداوتك، ثم هربت منك الى نجران وأنا أريد أن لا أقرب الإسلام أبدا، ثم أرادني الله منه بخير وألقاه في قلبي وحببه إلي، وذكرت ما كنت فيه من الضلالة، واتباع ما لا ينفع ذا عقل، من حجر يعبد ويذبح له، لا يدري من يعبده ومن لا يعبده، قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي هداك للإسلام إن الإسلام يجب ما كان قبله».

بطل الكاراتيه

تعرفت عليه في بدايات العمل داخل مستشفى الطب النفسي، عام 1993، حيث كنا نعمل تحت غطاء لجنة التوعية الاجتماعية، قبل ان نتحول الى لجنة بشائر الخير، ثم جمعية بشائر الخير. كان رجلا في العقد الخامس من عمره، قد خطت السنون أخاديدها في وجهه الأسمر فأحالته كهلا لا يصدق المرء إلا انه أمام رجل تجاوز السبعين، بالرغم من عدم تجاوزه للعقد الخامس. كان أحد أبطال الكويت في الكاراتيه، والذي يشاهد صورته وهو يقفز برشاقة، وقد أفرد يده، ورفع أحد قدميه أعلى من رأسه، لا يصدق انه صاحب الصورة، ذلك قبل ان يدخل عالم المخدرات.

بداية التعارف

بعد إلقائنا لموعظتنا الاسبوعية في مستشفى الطب النفسي ـ قسم تأهيل المدمنين ـ تقدم إلينا أربعة من مرضى الادمان، وأبدوا تأثرا كبيرا، وتفاعلا واضحا، ثم عاهدونا على التوبة، وكان صاحبنا هذا أحد هؤلاء الأربعة الأوائل في مشوار عملنا مع المدمنين.

انتظرنا خروجه من المستشفى، وتعرفنا على عنوانه وهواتفه وما ان خرجنا حتى اتصل به رجال البشائر، ومن ثم دعوناه الى أنشطتنا فلم يمانع، بل استمر معنا ما يقارب العام، حتى خرج معنا في عمرتنا الأولى مع زوجته، وكانت الفرحة تملؤه، وزوجته لا تكاد تصدق ما ترى أمام عينيها، وبعد عودتنا زادت رابطته بنا، ثم جاء موسم الحج وأخذناه معنا.

انقطع عن الحضور للأنشطة، وقمنا بالاتصال به للاطمئنان على صحته وثباته، واتفقت مع بعض الاخوة في البشائر لزيارته في البيت، واستقبلنا في بيته، ولاحظنا الحزن عليه بسبب مرض ولده، وكان مهموما لعدم معرفة الأطباء بمرضه، وكان يبحث عمن يساعده لإرساله للعلاج في الخارج بسبب حرج حالته، وتم له ما يريد، فقد وجد فرصته لمرافقة ولده للعلاج في لندن.

وبدل ان يكون مرافقا لولده الذي يعاني من وضع حرج للغاية، انتكس في لندن وعاد لإدمان الخمر، وانغمس فيها وترك ولده مع زوجته الكبيرة بالسن، والتي لا تعرف اللغة الانجليزية وحدها تعاني هذه المهمة الصعبة، واستمر في هذا الضياع هناك، واستمرت زوجته تعاني حتى انتهى العلاج وعادوا الى الكويت.

نهاية

لم يستمر طويلا بعد عودته من لندن، فقد وجدوا جثته متسلخة، منتفخة في الصحراء بعد موته بسبب الادمان. تفتح لهم أبواب الخير على مصراعيها، ويمد لهم أهل الخير والدعاة ايديهم لينتشلوهم من مستنقعات المخدرات الآسنة، ولكنهم يصرون على البقاء في تلك المستنقعات حتى الموت. لقد انتهت البطولات والأوسمة وكؤوس النصر واستبدلها بأوسمة السقوط أمام شهوات النفس وبالضربة القاضية امام إغراءات ابليس.

الرجال مواقف

شهيد نهاوند النعمان بن المقرن

إنه الصحابي الجليل النعمان بن مقرن رضي الله عنه الذي قدم على النبي ﷺ في المدينة مع أربعمائة من قومه مزينة، فاهتزت المدينة فرحا بهم، واستبشر بهم المسلمون، وقد هداه الله للإسلام، وهدى معه أهله وإخوته السبعة.

وقد اشتهر بنو مقرن بحب الله ورسوله، والإنفاق في سبيل الله عزّ وجلّ، والتضحية من أجل دين الله سبحانه، وفيهم نزل قول الحق تبارك وتعالى: (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول إلا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم) [التوبة: 99].

ومنذ أن أسلم النعمان بن مقرن وهو يرفع لواء قومه مجاهدا بهم في سبيل الله شرقا وغربا، فنجده في فتح مكة، وفي الجهاد ضد هوازن والطائف وثقيف، ومحاربة المرتدين ومدعي النبوة في عهد الصديق رضي الله عنه، ثم يرفع لواء قومه في موقعة القادسية والتي شهدت أروع بطولاته وتضحياته.

خاض النعمان بقومه كل هذه الحروب محتسبا أجره عند الله، وطمعا في مرضاته، متمنيا أن ينعم الله عليه بالشهادة في سبيله.

وكان النعمان لين الجانب، زاهدا في الدنيا ومفاتنها، لا يرضى حياة الرفاهية والإمارة، بل يفضل حياة العمل والجهاد، فحين عرض عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الإمارة على قبيلته، رفض ذلك واعتذر لأمير المؤمنين، ويواصل النعمان رحلة جهاده في سبيل إعلاء كلمة الحق، فكان على رأس الجيش الذي نجح في فتح البصرة ثم الكوفة، وقضى بذلك على وجود الفرس في بلاد العرب.

وجمع يزدجرد كسرى فارس آنذاك جيشا عظيما عدده أكثر من مائتي ألف فارس، وجعل من نهاوند قلعة يوجه منها سهامه إلى الإسلام، وأصر على محاربة المسلمين والقضاء عليهم، وأحس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بخطورة الأمر، فحشد جيوشه الإسلامية، وأراد أن يقود الجيش بنفسه، إلا أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أشار عليه بأن وجوده في المدينة خير للمسلمين من خروجه، حتى يرعى شؤون الأمة الإسلامية التي امتدت أطرافها شرقا وغربا، واقتنع الفاروق عمر رضي الله عنه برأي علي رضي الله عنه، وقال لمن حوله: أشيروا علي برجل أوليه قائدا في هذه الحرب، وليكن عراقيا، وله خبرة بطرقها ومسالكها.

فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين، أنت أعلم لجندك وقد وفدوا عليك.

فقال عمر: والله لأولين أمرهم رجلا يكون أول الأسنة إذا لقيها غدا.

فقالوا: ومن يكون؟ قال عمر رضي الله عنه: النعمان بن مقرن المزني.

قالوا: هو لها يا أمير المؤمنين.

فأمر عمر رضي الله عنه النعمان بن مقرن بأن يتجه بالجيش إلى نهاوند، ثم أرسل إليه عمر جيشا آخر بقيادة حذيفة بن اليمان ليكون مددا وعونا له، فأصبح عدد الجيش الإسلامي ثلاثين ألف فارس، والتقى بجيش الفرس في حرب شديدة، ظلت يومين لم يستطع أحد أن يحقق النصر على الآخر، وفي اليوم الثالث نجح المسلمون في أن يبعدوا الفرس عن مواقعهم ويدخلوهم خنادقهم وحصونهم ويحاصرونهم فيها.

وطال حصار المسلمين للفرس، ففكر النعمان وجنده في حيلة يخرجون بها الفرس من حصونهم، فأشار طليحة بن خويلد الأسدي رضي الله عنه بأن يوهم بعض المسلمين الفرس أنهم قد انهزموا، وينسحبون من الميدان، فينجذب نحوهم الفرس، ويتركون مواقعهم، ثم ينقض عليهم الجيش الإسلامي كله مرة واحدة، فيهزمونهم بإذن الله.

ونفذ هذه الخطة الحربية القعقاع بن عمرو رضي الله عنه مع بعض جنود المسلمين، ونجحت الحيلة، وظن الفرس أن في جيش المسلمين ضعفا، فخرجوا وراءهم ليقضوا عليهم، فانقض عليهم المسلمون، واندفع النعمان بن مقرن في صفوف الفرس، يقاتل قتالا شديدا، طامعا في النصر للمسلمين وفي الشهادة لنفسه، ودعا الله قائلا: اللهم إني أسألك أن تقر عيني بفتح يكون فيه عز الإسلام، واقبضني إليك شهيدا.

ونال النعمان أمنيته، فسقط شهيدا في أرض المعركة، وقبل أن تقع الراية من يده أسرع إليه أخوه نعيم وأخذ الراية منه ليواصل المسلمون جهادهم، ويكتم نعيم خبر استشهاد القائد، ويقوم حذيفة بن اليمان الذي أوصى النعمان له بقيادة الجيش من بعده، فيواصل المسيرة حتى تنتهي المعركة بنصر كبير، أعز الله به الإسلام والمسلمين، وفي جو الفرحة تساءل المسلمون عن قائدهم؟ فأجابهم نعيم قائلا: هذا أميركم، قد أقر الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة.

ووصل الخبر إلى المدينة، فصعد عمر رضي الله عنه المنبر ينعى للمسلمين ذلك البطل الشهيد، ويقول وعيناه تذرفان بالدموع: إنا لله وإنا إليه راجعون، فيبكي المسلمون بالمدينة، ويرتفع صوت عبدالله بن مسعود بالبكاء وهو يقول: إن للإيمان بيوتا وإن بيت ابن مقرن من بيوت الإيمان.

وهكذا يسجل التاريخ يوما من أعظم أيام الإسلام، يوم نهاوند سنة (21هـ)، ذلك اليوم الذي استشهد فيه أمير نهاوند، وقائد المسلمين فيها النعمان بن مقرن.

وفي نهاوند، دفن النعمان يوم الجمعة في سهل ممتد تكسوه الأشجار العالية، ودفن معه من استشهد في ذلك اليوم الخالد.

روائع القصص

كنوز قارون

يروي لنا القرآن قصة قارون، وهو من قوم موسى، لكن القرآن لا يحدد زمن القصة ولا مكانها، فهل وقعت هذه القصة وبنو إسرائيل وموسى في مصر قبل الخروج؟ أو وقعت بعد الخروج في حياة موسى؟ أم وقعت في بني إسرائيل من بعد موسى؟ وبعيدا عن الروايات المختلفة، نورد القصة كما ذكرها القرآن الكريم.

يحدثنا الله عن كنوز قارون مبينا سبحانه وتعالى ان مفاتيح الحجرات التي تضم الكنوز، كان يصعب حملها على مجموعة من الرجال الأشداء، ولو عرفنا عن مفاتيح الكنوز هذه الحال، فكيف كانت الكنوز ذاتها؟ لكن قارون بغى على قومه بعد أن آتاه الله الثراء، ولا يذكر القرآن فيم كان البغي، ليدعه مجهلا يشمل شتى الصور، فربما بغى عليه، بظلمهم وغصبهم أرضهم وأشياءهم، وربما بغى عليهم بحرمانهم حقهم في ذلك المال، حق الفقراء في أموال الأغنياء، وربما بغى عليهم بغير هذه الأسباب.

ويبدو أن العقلاء من قومه نصحوه بالقصد والاعتدال، وهو المنهج السليم، فهم يحذرونه من الفرح الذي يؤدي بصاحبه إلى نسيان من هو المنعم بهذا المال، وينصحونه بالتمتع بالمال في الدنيا، من غير أن ينسى الآخرة، فعليه أن يعمل لآخرته بهذا المال، ويذكرونه بأن هذا المال هبة من الله وإحسان، فعليه أن يحسن ويتصدق من هذا المال، حتى يرد الإحسان بالإحسان، ويحذرونه من الفساد في الأرض، بالبغي، والظلم، والحسد، والبغضاء، وإنفاق المال في غير وجهه، أو إمساكه عما يجب أن يكون فيه، فالله لا يحب المفسدين.

فكان رد قارون جملة واحدة تحمل شتى معاني الفساد (قال إنما أوتيته على علم عندي)، لقد أنساه غروره مصدر هذه النعمة وحكمتها، وفتنه المال وأعماه الثراء، فلم يستمع قارون لنداء قومه، ولم يشعر بنعمة ربه. وخرج قارون ذات يوم على قومه، بكامل زينته، فطارت قلوب بعض القوم، وتمنوا أن لديهم مثل ما أوتي قارون، وأحسوا أنه في نعمة كبيرة، فرد عليهم من سمعهم من أهل العلم والإيمان: ويلكم أيها المخدوعون، احذروا الفتنة، واتقوا الله، واعلموا أن ثواب الله خير من هذه الزينة، وما عند الله خير مما عند قارون.

ذنوب كبيرة

إفطار يوم من رمضان بلا عذر

قال الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر).

وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «بني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان».

وقال ﷺ: «من أفطر يوما من رمضان بلا عذر لم يقضه صيام الدهر وإن صامه».

وعن ابن عباس رضي الله عنه: «عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاث: شهادة ألا إله إلا الله، والصلاة، وصوم رمضان، فمن ترك واحدة منهن فهو كافر». نعوذ بالله من ذلك.

الكذب على الله عز وجل وعلى رسول الله ﷺ

قال الله عز وجل: (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة)، قال الحسن: هم الذين يقولون: إن شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل، قال ابن الجوزي في تفسيره: وقد ذهب طائفة من العلماء الى ان الكذب على الله ورسوله ﷺ كفر ينقل عن الملة، ولا ريب ان الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ تحليل حرام وتحريم حلال كفر محض، وانما الشأن في الكذب عليه فيما سوى ذلك.

وقال ﷺ: «من كذب علي بنى له بيت في جهنم»، وقال ﷺ: «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»، وقال ﷺ: «من روى عني حديثا وهو يرى انه كذب فهو أحد الكاذبين».

وقال ﷺ: «إن كذبا علي ليس ككذب على غيري، من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار».

رسائل الرسول

كتاب رسول الله ﷺ إلى قيصر «هرقل» (1ـ3)

قال أبوسفيان بن حرب رضي الله عنه: «كنا قوما تجارا، وكانت الحرب قد حضرتنا حتى نهكت أموالنا، فلما كانت الهدنة (هدنة صلح الحديبية) بيننا وبين رسول الله ﷺ، لم نأمن أن وجدنا أمنا فخرجت تاجرا الى الشام مع رهط من قريش، وكان وجه متجرنا من الشام غزة من أرض فلسطين، فخرجنا حتى قدمناها، وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم على من كان في بلاده من الفرس فأخرجهم منها، ورد عليه صليبه الاعظم وقد كان استلبوه اياه، فلما ان بلغه ذلك وقد كان منزله بحمص من الشام، فخرج منها يمشي متشكرا الى بيت المقدس ليصلي فيه، تُبسط له البسط ويطرح عليها الرياحين، حتى انتهى الى إيلياء (القدس) فصلى بها.

فأصبح ذات غداة وهو مهموم يقلب طرفه الى السماء، فقالت له بطارقته: أيها الملك لقد أصبحت مهموما؟

فقال: أجل، فقالوا: وما ذاك؟

فقال: أُريت في هذه الليلة أن ملك الختان ظاهر، فقالوا: والله ما نعلم أمة من الأمم تختن إلا اليهود، وهم تحت يديك وفي سلطانك، فإن كان قد وقع ذلك في نفسك منهم، فابعث في مملكتك كلها فلا يبقى يهودي إلا ضربت عنقه، فتستريح من هذا الهم.

فإنهم في ذلك من رأيهم يديرونه بينهم، إذا أتاهم رسول صاحب بصرى برجل من العرب قد وقع اليهم، فقال: أيها الملك ان هذا الرجل من العرب، من أهل الشاء والابل يحدثك عن حدث كان ببلاده فاسأله عنه، فلما انتهى اليه قال لترجمانه: سله ما هذا الخبر الذي كان في بلاده؟ فسأله فقال: هو رجل من العرب من قريش خرج يزعم أنه نبي وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون، وقد كان بينهم ملاحم في مواطن، فخرجت من بلادي وهم على ذلك.

فلما أخبره الخبر قال: جردوه، فإذا هو مختتن، فقال: هذا والله الذي قد أُريت لا ما تقولون، أعطه ثوبه، انطلق لشأنك.

ثم انه دعا صاحب شُرطته، فقال له: قلب لي الشام ظهرا لبطن حتى تأتي برجل من قوم هذا، أسأله عن شأنه.

قال أبوسفيان: فوالله إني وأصحابي لبغزة اذا هجم علينا فسألنا:

ممن أنتم؟ فأخبرناه، فساقنا اليه جميعا، فملا انتهينا اليه قال: أيكم أمس به رحما؟ فقلت: أنا، قال: أدنوه مني، قال أبوسفيان: فأجلسني بين يديه، ثم أمر أصحابي فأجلسهم خلفي.

وقال: إن كذب فردوا عليه، قال أبوسفيان: فلقد عرفت أني لو كذبت ما ردوا عليَّ، ولكني كنت أمرءا سيدا أتكرم وأستحي من الكذب، وعرفت أن أدنى ما يكون في ذلك أن يرووه عني، ثم يتحدثوا به عني بمكة، فأم أكذبه.

فقال قيصر: أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج فيكم أخبرني عما أسألك عنه من أمره. فقلت: سلني عما بدا لك.

فقال: كيف نسبه فيكم؟

أبوسفيان: محضا من أوسطنا نسبا، هو فينا ذو نسب هو والله من بيت قريش.

قيصر: فأخبرني، هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به؟

أبوسفيان: لا.

قيصر: فأخبرني هل له مُلك، فاستلبتموه إياه، فجاء بهذا الحديث لتردوه عليه؟

أبوسفيان: لا.

قيصر: فأخبرني عن أتباعه، من هم؟

أبوسفيان: الاحداث والضعفاء والمساكين، فأما أشرافهم وذوو الانساب منهم فلا.

قيصر: فأخبرني عمن صحبه، أيحبه ويكرمه، أم يقليه ويفارقه؟

أبوسفيان: ما صحبه رجل ففارقه.

قيصر: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

أبوسفيان: لا.

قيصر: فأخبرني عن الحرب بينكم وبينه؟

أبوسفيان: سجال يُدال علينا ويُدال عليه.

فيصر: فأخبرني هل يغدر؟

أبوسفيان: لا، إلا أن يغدر مدته هذه.